قصة سعر وسمار

نبـــل الحب (*)

أقصوصة شرقية

بقلم الأستاذ مراد الكردانى

المنظر الأول

« معاوية أمير المؤمنين فى مجلس له فى رواق مكشوف يشرف على الطريق ، واليوم قيظ ، والريح راكدة ، والأرض تغلى من الوهج ... يبدو شيخ يدلف من بعيد نحو القصر ... »

معاوية : (لجلسائه) — أما والله إن هذا لقبح جهنم ، كأن قد فتحت أبوابها ... هل خلق الله أشقى ممن يضطر إلى الحركة فى مثل هذا الوقت ! أنظروا ... هذا رجل يحجل من حر التراب ، كأنما يخطو على نار !

أحدهم — لعله لاحى يقصد ساحة أمير المؤمنين أو يبغى نصره .

معاوية — والله لئن كان نفر إلينا فى لُمَاسة لقضيناها ، وإن أفحش الظلم للذى يَؤُزُّ صاحبه أن يخرج فى مثل هذا اليوم الحُمْت المصيب — ويلٌ لمن بغى عليه — إنه ليتخلّج فى مشيه كأن له شهراً يمشى (ثم قال للغلام) يا غلام !

الغلام : لبيك أمير المؤمنين !

معاوية — لا تحجب دونى الساعة أحداً .

الرجل : (وقد بلغ منه الاعياء والتعب والحر) — النصفة يا معاوية ، أنصفنى ، وخذ لى من عاملك وابن عمك مروان ، ظلمنى ، وغصبنى أهلى ، وصيّرنى سخرية بنى عذرة !

معاوية : (وقد أخرجه الحر من حلمه) — لحى الله ابن الحكم . يبغى ، وفى المدينة[1] ! والله لئن كان لأمثلّن به مُثْلةً تذهب فى العرب . هات أمرك يا تميمى .

الرجل : (وقد هدأ واستراح) نصر الله أمير المؤمنين ومكن لأمره ... كانت ظلى وسكنى وكنت بها قرير العين ، مطمئن الروح قانعاً ، أمضى إلى شأنى ، ونورها يحدونى . وإنها لتملأ قلبى وعينى وأفق . فليس لدىّ فى الدنيا سواها . ثم جاءت — يا أمير المؤمنين — أيام عجاف أذهبت الطارف والتليد حتى هنْتُ ، وذلّت نفسى ، وأنكرنى الصحب والخلصاء ؛ ثم نفقت ناقة كانت آخر ما عندى فبقيتُ لا أملكُ شيئاً ، وضاقتْ سبيلى ، وأطبق علىّ البلاء وتضاعف حين أتى أبوها — وهو عمى — فجبذها منى ، وحرمنى إياها ، وأنا أحوج ما أكون إلى برها وحنانها

كانت — يا أمير المؤمنين — إشراقاً إلهياً

(*) لهج الناس بعظمة التضحية التى ضحاها الملك إدوارد ، وادوارد ملك وابن ملك ، شب وتما فى عز الملك ، وأبهة العرش ، فلم تفقده تضحيته سوى تاجه . وهو بعد أمير تُرى محبوب ! فما بالهم وهذه فتاة عربية فقيرة لا تملك كفها . حتى من قوت يومها ، يعرش لها الملك والتاج ، فتأباها إبقاء على سلام قلبها ، وصفاء روحها ، تعدلها بجلال الخلافة ، وأبهة الملك !

(١) والمدينة يومئذ مركز علىّ وحزبه

يجلو عن ذهنى ظلمة اليأس والفقر والحاجة . جاء هذا الشيطان فحجب شعاعه عنى . كنتُ معها فى محنة واحدة مخففة بقربها ، فبتُّ بعدها فى محنتين ثقيلتين من بُعْدها : محنةِ فقرى وجوعى ، ومحنة السبيل التى عُمِّيت علىّ والْتَوَتْ ، بعد أن ذهب عنى ضياؤها

ولما جئت مروان أشكو أباها وسمعنى أمر أن تحضر مجلس الخصومة . فلما أشرقت ألقى الشيطان فى أمنيّته فجار وخلّط ، وبدّلنا — تلاثتنا — الجزاء . فآثرنى أنا بالسجن بدل أبيها . وبذل له المال وهو المليء الموسع ، وكنت به أحق وأحوج . ثم جمعها بقربه وجمعنى ببينها ... !

ولقد خرجت من مجلس قضائه إلى السجن فلبثت فيه حتى سوّى الأمر لنفسه وفق ما يهوى . ثم جىء بى إليه فقال : طلق سعاد . قلت : لا . فأعاد فقلت : لا . فسامنى غلمانه سوء العذاب حتى شارفتُ . ثم ثم زادنى . ثم زادنى . فلم أر خلاصاً إلا أن أفعل . فأرسلتها كلمة من أَسَلَةِ لسانى على كرهى لأنجو بجسدى . ونجوت . ولكن إلى السجن ثانياً حتى تمتدّ فتنبتّ أسبابها منى . ثم جئتك — يا أمير المؤمنين — راجياً وبك مستجيراً

معاوية — لقد والله جئتنى يا أخا العرب بحديث عجب . ولقد أتم ابن الحكم واجترأ وظلم . ويل للدين من سدنته . تتلوى الحيل فى أدمغتهم فيتفقهون بها ، ولكن على رأى بطونهم وشهواتهم . ثم يستعدون باسم الدين على حرم الدين ، ويبغون على حقوق المسلمين . (ثم قال لغلامه) — ... إدع كاتبى يا غلام . فإذا حضر فأرسل أنت فى طلب نصر والكميت وأمرهما أن يتجهزا ... أسمعت ؟

الغلام — أمر أمير المؤمنين

(ينصرف الغلام لينفذ أمر الخليفة)

معاوية : (لكاتبه) — أما بعد ، فإن الله بيّن الحلال وبين الحرام وفرقهما وحدّهما ؛ فويل لمن بدل وغير وطمس ... وإن المنحة بالرغم غصبٌ مقنّع . فهما مترادفان تفسرهما كلمةٌ من صميم القلب لا من طرف اللسان . فاتق الله فى حق عبده ، واربأ بنفسك أن تكون مُثْلة سيئة فتحمل وزرك ووزر من شايعك إلى يوم القيامة يوم الحق الصريح ... والسلام

(ينطلق نصر والكميت إلى المدينة برسالة معاوية ثم يعودان)

المنظر الثانى

« معاوية فى مجلسه وحوله خاصته »

معاوية (لنصر والكميت) — جئتما ؟

الكميت — أصلح الله الأمير وأقام ملكه . لقد رجع ابن عمك وفاء ، فسرحها وأشهدنا

نصر — ولقد أقر على نفسه فى هذا الكتاب

معاوية : (يبتسم) — إن مروان لكالحية الزرقاء تموت وشباتها تلدغ . لقد ذكر جمال سعاد . فبالغ وأشاد ، كأنه يستعديني عليها ، ويريدها لى ، ويغريني بها فلا يبلغها صاحبها على أى حال . ويل له ما أهون كيده !

(يأمر بسعاد أن تحضر . فيبهر حسنها ، ويتمناها ، ثم يجاذبها الحديث فتقع من قلبه . ويعمل فيه جمالها وعقلها وكمالها)

معاوية : (للأعرابى متلطفاً) — يا أخى كيف عهدك بصاحبتك . أو ما تزال ذا كرها ؟

الرجل (وقد تنبأ) — بلى والله يا أمير المؤمنين ماسلاها القلب . ولا عنها شغل (ثم قال فى صوت مرتعش)

— واشوقا يا سعاد إلى الفم الحلو الرشوف بات يرويني رحيقه (ثم يبكي) سعاد . إليّ يا سعاد . فو الله إني لواهب بشيري بك نصف عمري . و...

معاوية (وقد شاع فيه اليأس) — أقصر . أقصر بل إني لواهبك أنا ثلاثا نهداً أبكاراً ، كل واحدة منهن رعبوبة غانية في يمينها ألف دينار . ثم أنا بعد ذلك مقربك مني و مُجْرٍ عليك رزقاً ، ومالاً وفيراً على أن تدعها

الرجل : (في رقة وذلة) استجرت بعدلك من جَوْر مروان. فبمن أستجير من جورك؟ (ثم قال في رجاء وحزم) والله يا أمير المؤمنين لو بدلتني منها الخلافة في جلالها وعزها ، بل وملك الدنيا ، ما رغبت فيها . ولا عدلتُ سواها .

أبى القلب إلا حب سعدى وبُغِّضَتْ
إلى نساء ما بهن عيوب
وما هو إلا أن أراها فجاءة
فأبهتُ حتى لا أكاد أجيب[1]

معاوية : إن مروان طلقها . وأنت قبلُ طلقتها وإنها لسيدة أمرها. وإنا مخيّروها . فهل أمنت رأيها؟

الرجل : (في يقين) افعل !

معاوية : (يحضر سعاد ويخاطبها في رقة) يا سعاد . أينا أحب إليك ، وآثر عندك ؟ : أمير المؤمنين في عزه وجاهه ، وجلال ملكه ، وهذه الدنيا العريضة التي شهدت وعاينت ، أم مروان في ظلمه وجوره ، أم هذا الأعرابي في جوعه وفقره

سعاد — أدام الله عز أمير المؤمنين وثبت ملكه أتراني أمنت في جوارك وعزك من حادثات الدنيا ومن نزوات الزمان ؟ ألا والله إن المال عارية ، ومالي كفه من الدنيا كمائها من الماء ، ولقد كانت لي معه صحبة جميلة ، وأيامٌ عِذَاب ، وإن الحب متاع الروح . وإني لصاحبته ما سلوته ولا غدرته . وإني — وأمري في يدي — لواهبته نفسي وروحي ، فما أملك لها بعد اليوم رجعاً

معاوية (في عجب وطرب ونشوة) — مرحى . مرحى . تلك دنيا — يا سعاد — لا نعرفها . سموت بنا إليها . خُذي صاحبك ، وخذي لكما عشرين ألف درهم . ونعرتدّ نحن على دنيانا ، دنيا الصراع والكفاح ، وتنازع الشهوات والأهواء .

مراد الكردي

(١) الشعر لمجنون ليلى بدل سعدى . ويروى « ما لهن ذنوب » .

المجموعة الاولى
للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى العصر لموسيه، والأوذيسة لهوميروس، ومذكرات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

خلاف أجرة البريد